02/02/2026

كلمة احتفالية لقداسة البطريرك المسكوني برثولماوس مناسبة: عيد الثل



كلمة احتفالية لقداسة البطريرك المسكوني برثلماوس
مناسبة: عيد الثلاثة أساقفة القديسين الأقمار الثلاثة
المكان: قاعة الاحتفالات – جامعة أرسطو، ثيساليونيكي
التاريخ: 29 يناير 2026
أيها المطران الجليل لثيساليونيكي، السيد فيليتيوس، راعِ لهذه الأبرشية المباركة،
أيها الإخوة الكرام في المسيح من الأساقفة،
الساده الموقرون،
الأستاذ المحترم السيد رئيس الجامعة، نواب الرئيس، عمداء ورؤساء الأقسام،
الأساتذة الأفاضل، السيدات والساده الأستاذات،
الساده الكرام من كبار المسؤولين المدنيين،
الممثلون المحترمون للسلطات،
أيها الطلاب الأعزاء في المسيح،
أيها السيدات والساده،
نعرب عن امتناننا العميق للإدارة العليا لجامعة أرسطو في ثيساليونيكي على

الدعوة الكريمة والمشرفة لإلقاء الكلمة الاحتفالية بمناسبة عيد الثلاثة أساقفة القديسين، الذين هم "حماة الآداب اليونانية والمسيحية".

نؤكد أمامكم أيضاً أن كل تكريم لنا يعبر عن تقدير الكنيسة المقدسة للمسيح، التي أسهمت بشكل كبير ولا يقدر بثمن في تعليم أمتنا. نحن نخدم هذه الكنيسة كرجال دين لما يقرب من خمسة وستين عاماً، منها خمسة وثلاثون عاماً كرئيس لها. نحمد الله ونسبحه على عطاياه التي أغدقها علينا.

ما سنقوله لاحقاً يعكس روح الكنيسة العظمى في القسطنطينية واهتمامها الدائم بالثقافة الروحية، حيث يثمر إرث الأساقفة العظام الثلاثة، الذين هم "أعظم أنوار الثالوث القدوس".

من الضروري أن يعرف شبابنا وشاباتنا العطاء الفريد للكرسي المسكوني للأمة اليونانية، ودوره المركزي في الحفاظ على هويتنا، وكذلك رسالته العالمية والمسيحية الشاملة. لقد أنقذ البطريركية المسكونية حرفياً هويتنا الروحية والثقافية ولغتنا في أوقات صعبة، من خلال إنشاء المدارس والأكاديميات، واستقدام الأساتذة الحكماء، وتعزيز التعليم العلماني والمسيحي، وأيضاً عبر الأعمال الترب وية والتعليمية والتحويلية التي تتحقق من خلال حياة الكنيسة، العبادة الإلهية، الروحانية، الإحسان، التضامن، والأخلاق الكنسية، التي تمثل النصر على كل القوى التي تهدد قداسة الإنسان وسلامة الخليقة.

إن المعرفة العلمية، والمهارات التكنولوجية، والتقدم اقتصادي، والأفكار الحديثة لا تكفي بمفردها للحفاظ على هويتنا، لأن جوهر ثقافتنا الروحية هو الذي يمنحها القوة والثبات.

اليوم نكرم الثلاثة "معلمين كونيين"، وهم:

القديس باسيليوس الكبير العالم اللاهوتي المستنير، الزاهد المحب لله، حامي المحتاجين وموزع الطعام الجديد على الفقراء.

غريغوريوس اللاهوتي المدافع المتحمس عن الثالوث، والمعلم البارز في جميع أنواع التربية والتعليم.

يوحنا ذهبي الفم المبشر الحار بالإنجيل، معلم القربان المقدس، المتميز بالتقوى، الأكثر نضالاً وتضحية.

نحن نُعجب بتفانيهم غير المحدود للمسيح وخدمة كنيسته، وبالتعليم اليوناني والمسيحي الذي قدموه، وبسعة أفقهم الفكري، وعمق معرفتهم اللاهوتية، حيث يجتمع في عملهم التوازن بين المنطق والمنحة الإلهية في اللاهوت.

نحن ممتنون لهم على كفاحهم ضد الهرطقات وتآكل الأخلاق المسيحية، وعلى اهتمامهم بالحياة الروحية للشباب، وتعليمهم المقدس، ونموهم الفكري، وعلى الجمع بين اليونانية والمسيحية، وهو الجمع الذي، كما يقول الراحل المطران يوحنا زيزيولاس، الأستاذ السابق في جامعتكم، "حدد بشكل حاسم ومليء مسار ليس الكنيسة فقط، بل التاريخ العالمي بأسره".

لقد تمكن هؤلاء الآباء العظام من التعبير بطريقة فريدة عن تجربة الخلاص في المسيح باستخدام المصطلحات الفلسفية اليونانية. من خلال كلماتهم

وأقالمهم، وصل المسيحية إلى الجمهور في بيئة ثقافية متشابكة مع اللغة والتعليم اليونانيين، وعبّروا بحيوية عن التعليم الإنجيلي، وأثروا كل من اللاهوت واليونانية والفلسفة.

وقفًا للرأي السائد في جامعة أرسطو، "من خلال التعليم المسيحي ومعه يكتمل الفكر اليوناني، لأنه بعد الإشارة إلى العالم القديم ('العالم العادي') بـ 'ما وراء العالم' و'ما وراء العالم العقل'". كما يقول غريغوريوس اللاهوتي: "الإيمان بالكلمة هو كمال العقل". الإيمان بالمسيح لا يتطلب تضحية العقل، بل يغذي ويعمق ويحوّل الكلمة.

إن لقاء اللاهوت المسيحي بالفلسفة اليونانية لم يكن بالنسبة للآباء العظام مجرد مسألة نظرية، بل كان مرتبطًا مباشرة بقضية خلاص الإنسان. لقد درسوا الفلسفة بعمق، وأدخلوا ابتكارات في المصطلحات، أي أعطوا مفاهيم فلسفية محتوى جديدًا بهدف التعبير عن إنجيل النعمة التي أتت في المسيح. كان هذا جهدًا حقيقيًا وصفه البعض بـ "العمل المعجزي".

لقد أعطى الروح اليونانية، المتمركزة الآن في قلب الثقافة المسيحية العالمية، بعدًا أوسع وعمقًا أكبر. ومن المؤكد أن آباء الكنيسة ساهموا بشكل كبير في نشر الروح اليونانية القديمة، ويُعتبرون حق خلفاءها وموصلين لها.

كل إشارة إلى أهمية هؤلاء الآباء لهويتنا تتضمن أيضًا مساهمتهم في هذا الدمج الذي يغذي تفردنا الثقافي.

نحن على يقين أن أغلى عناصر الحضارة اليونانية القديمة تم دمجها في حياة الكنيسة، وأصبحت خالدة، بينما أظهرت اللغة اليونانية، كلغة للعهد الجديد وآباء الكنيسة والطقوس والترانيم، قوتها التعبيرية وغناها ووحدتها المتكاملة. كما يقول الأب الراحل جورج فلوروفسكي: "لقد اكتمل الهلينية داخل الكنيسة؛ هذه هي الأهمية التاريخية للاهوت الآبائي".

إن النصوص الرفيعة للثالثة أساقفة القديسين، ولاهوتهم، وتقواهم، ورؤيتهم الكنسية، وحكمتهم الإنسانية، وأفكارهم التربوية، لا تزال ملهمة وذات صلة بعصرنا. وفي هذا السياق، فإن ذكر هؤلاء الآباء لا يعني مجرد العودة إلى الماضي، بل هو تراث كنسي حي دائم من النظر والعمل، يضيء حاضرنا ويعطينا اتجاهًا نحو المستقبل. بالنسبة لشعب الله، لا يوجد "أمس" أو "اليوم" بدون صلة مع آباء الكنيسة وحضورهم الروحي وشهادتهم. ومن البديهي أن يكون دعم شعب الله أيضًا "آبائيًا".

إن لاهوت الآباء يبقى نموذجًا للعمل اللاهوتي، خصوصًا من حيث المنهج والتوجه الرعوي. إنه لاهوت وجودي وعملي، لا مجرد عقلانية أو تجريد. هذا اللاهوت التجريبي والكنيسي يربط الإيمان بالحياة، ويخاطب الإنسان المعاصر دائمًا، دون ادعاء بالعلمية أو البلاغة المصطنعة.

كما يرفض القديس غريغوريوس اللاهوتي التعلق المفرط بالبلاغة أو بـ "إثبات الحكمة الكلامية واللفظية المعقدة". من يحاول تحويل الكلام إلى "برهان منطقي" قد يحوّل اللاهوت إلى مجرد تقنية، ويقلل السر العظيم للإيمان المسيحي إلى شيء تقني ميكانيكي. وفي لاهوتهم، يعطي الآباء شهادتهم كـ "تلاميذ الصيادين"، أي كمن ينقل الحقيقة الإلهية بطريقة حية وعملية.

بالنسبة للآباء العظام، فإن الولاء لتقليد الحق والانفتاح على العالم والثقافة يسيران جنباً إلى جنب ويثريان بعضهما البعض. ويجب أن يكون التواصل مع العالم المعاصر والتحديات الجديدة في إطار الولاء باطاعة "غير الديني" للكنيسة وفي وعي بالمعطيات التاريخية الجديدة. كما قال أبونا الروحي الراحل، مطران خلقدون ميليتون: «الا يمكن فهم الكنيسة كيان منفصل عن الحياة، عن الأزمنة، عن هموم هذه اللحظة، وعن المشاكل الملحة في وقتها».
من المبادئ الأساسية في اللاهوت أنه لا ينبغي أن يكون دفاعياً، أي أن تدور كل التطورات الراهنة ضد الأرثوذكسية. إن ربط حياتنا بالرفض والخوف، بالانعزال وعدم الاكتراث للتاريخ والثقافة لا يمكن أن يستند إلى لاهوت الآباء.
المسيحي هو شخص منشط ومجتمعي، منفتح على الآخر والعالم، شريك لله، إنسان متقدم. ومن المدهش أن بعض المفكرين المعاصرين خلطوا بين الحرية المسيحية والخنوع أو "أخلاق الضعفاء". هذا خطأ جسيم. فمن غير المعقول أن يكون الإنسان، كما وصفه غريغوريوس اللاهوتي، الإنسان "المركب من السماء والأرض"، "الأرضي والسماوي"، "المكرم بالحرية"، "المتوّج إلى الله"، "الفاني والخلود" شخصاً كسولاً أو غير مهتم بالحياة وشؤون البشر.
ويتضح خطأ هذا الادعاء من أن الآباء وضعوا اهتماماً خاصاً بالمضمون الاجتماعي للحرية، وبالمجتمع والحياة والأخوة. المؤمن، الذي يعيش في المسيح ومن أجل المسيح، لا يمكن أن يكون غير مكترث لأخيه الإنسان. أما "الشخص المنغلق" فهو تجسيد للاغتراب البشري.
هذا هو روح الثلاثة أساقفة القديسين: أن تكون التربية والتعليم في صميم التفكير والعمل. فالتربية تفترض دائماً حرية الإنسان، فهي توجه نحو الخير، ولا يمكن للإنسان أن يتحول إلى مجرد تلقين أو آلية. الحرية دائماً واجب وهدف ومسعى، وليست شيئاً مفروضاً أو جاهزاً.
تجربة العصور تعلمنا أن تربية الجيل الجديد أمر صعب ومطالب بشكل خاص. واليوم، إلى التعقيدات الفطرية للتربية، أضيفت صعوبات جديدة، مثل سيطرة التقنيات الحديثة والمعايير الاقتصادية في التعليم. الحاسوب أداة رائعة، لكنه يفرض منطقاً صارماً ومتغيراً لكل شيء وحتى للأشخاص إلى بيانات. تحويل المدارس إلى "جنة التكنولوجيا الحديثة" لا يحل مشكلة التربية. كما أن إدارة التعليم وتنظيمه على أساس اقتصادي فقط غير كافٍ أن يصبح المدرس والطالب مجرد فئات اقتصادية ربما يتناسب مع روح العصر، لكنه لا يعكس حقيقة التعليم. ما هو واجب تربوي لا يتطابق بالضرورة مع الصورة الإنسانية السائدة في أي زمن. بل يجب أن يُنظر إليه كتحدٍ لتعزيز عمل التربية، وليس كقاعدة حاكمة لها.
إن ربط المعطيات الجديدة بمجال التربية والتعليم يشمل أيضاً تراجع تنمية العلوم الروحية أمام سيطرة المعرفة العملية، التقنية، والاقتصادية. فالمعرفة العملية تحل محل التربية الإنسانية والروحية، التي تمثل ما يتجاوز مجرد ما هو "مفيد". ومن المؤكد أن هذا التوطر يشكل خطأً أنثروبولوجياً وتربوياً.
فالإنسان ليس مرتبطاً فقط باللحظة الحالية، ولا تكتمل وجوديته بمجرد إشباع احتياجاته الأساسية. عندما يعرّف الفيلسوف العظيم أرسطو الإنسان

بأنه «حيوان ناطق»، وهو يشير إلى التوتر الموجود في الوجود البشري بين البعد البيولوجي و"البعد العقلي"، أي التفكير، اللغة، والتواصل.
لكن هناك بعد ثالث: وهو "كمال الوجود"، أي هدفه ومعنى الحياة. فالإنسان لا يمكنه أن يعيش دون إيجاد معنى لوجوده.
والتربية الحقيقية، باعتبارها "إنسانية الإنسان"، لا يمكن أن تتجاهل تنمية البعد الروحي.
في التقليد الباثريكي، يرتبط هذا الهدف من التربية بـ التعليم باعتباره "نيل القداسة"، أي إظهار المقصد السامي للإنسان. إن تحرك النفس نحو التشبه بالله يعزز قدرة الإنسان على مواجهة متطلبات الحياة الأرضية والحالات الحدودية، بينما تضييق وحصر وجودنا في الحاضر فقط يقابله ضعف وجودي.
إذا نظرنا إلى الحياة كعمل سيسيفي وإلى الموت كنهاية نهائية، فإن وجودنا يغرق في الخوف واليأس.
التطور السريع والسيطرة العالمية للحضارة التقنية لن يبطل ما نعرفه عن الإنسان، عن حريته، وعن الحالة الإنسانية، حتى وإن تم الترويج أحيانًا لمفاهيم ضارة وغير كيمة.
طالما أن الطبيعة البشرية واحدة، فإن التربية والتعليم سيؤديان دورًا إنسانيًا حقيقيًا، مرتبطًا بـ البقاء والحياة الطيبة، المعرفة والإيمان، التواصل مع التقليد، المساهمة في الثقافة، التعايش مع الآخرين، المشاركة السياسية، مسؤوليتنا كأشخاص، وإضفاء معنى على وجودنا. وهذا يمثل ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان.
وقد أشارت المجمع المقدس والكبير للكنيسة الأرثوذكسية بوضوح، عند مرور عشر سنوات على انعقاده، إلى أنه: «المعرفة العلمية لا تحرك الإرادة الأخلاقية للإنسان، الذي، رغم معرفته بالمخاطر، يستمر في التصرف كما لو لم يكن يعلم».
فالروحانية والحرية المسؤولة لا تتطور تلقائيًا وبالتوازي مع الإعداد العلمي والمعرفة التقنية، بل تحتاج إلى تربية أخلاقية ودينية، وتعليم القيم الروحية، التي تستمد قوتها من مصدر الإيمان والأخلاق والثقافة الأرثوذكسية الغنية.
هوية أي مجتمع لا تُقاس فقط على أساس التطور التكنولوجي والاقتصادي، أو تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية، بل أيضًا من خلال حضور تلك القيم الروحية التي تذكّر بأن الإنسان ليس مجرد مواطن في العالم، بل كائن روحي يسمع صوت السماء ويشتهي الأبدية.
في المجتمعات العلمانية، لم تؤدِ «نسيان ما وه متعالٍ» إلى التفاؤل، بل أنتجت نسيان الألم. ومن البديهي أن إنكار المعنى النهائي للحياة والعالم، أو وضع محتوى الحرية حيثما شاء كل شخص، لا يمثل تعبيرًا حقيقيًا عن الوجود.
قيل إن الإنسان «يُرعبه التفكير بأنه مجرد جزء من هذا العالم». ومن المفارقات جدًا أنه في عصرنا، حيث المعرفة العلمية والتقنية هي القوة الكبرى التي تغيّر وجه الإنسان جذريًا في كل أبعاده، والذكاء الاصطناعي يُحدث نقلة نوعية وعميقة

في تاريخ الحضارة، تبرز الإيمان الديني كقوة كبرى أخرى، ممثلةً لما لا يستطيع الإنسان أن يمنحه لنفسه، وكذلك الحقيقة بأن الشخص البشري دائمًا "أكثر مما تستطيع العلوم استيعابه".

استنادًا إلى هذا، تظهر تقدم العلوم والتقنية على أنه كشف عن قوة وحدود المعرفة البشرية. أما الإيمان الديني واللاهوت، فيعترف بقوة المعرفة العلمية، لكنه يشير بوضوح إلى ما هو أبعد من المعرفة.

بهذه الأفكار والمشاعر، ومع شكرنا مرة أخرى على الدعوة والتكريم، ننقل إلى جميع الحاضرين وإلى أحبائكم بركة الكنيسة العظمى للقديس المسيح، متوسلين من خلال صلاة الآباء الثلاثة العظماء، الذين أناروا كل الكون بأشعة العقائد الإلهية، النعم الحية ورحمة الله اللا متناهية، حكمةً ومحبةً.

1.يوحنا زيزيولاس، «الهلينية والمسيحية»، تاريخ الأمة اليونانية، المجلد السادس، أثينا 1976، ص. 559

2.فاسيليوس تاتاكس، المذكرات، ميت، أثينا 1993، ص. 512

3.غريغوريوس اللاهوتي، "خطاب" كΘ'، سلسلة ΒΕΠΕΣ 59، ص. 250،30

4.الأب جورج فلوروفسكي، "طرق اللاهوت الروسي"، ضمن أعماله: مواضيع في تاريخ الكنيسة، نشر بورنارا، تسالونيكي 1979، ص. 227

5.غريغوريوس اللاهوتي، "خطاب" ΙΣΤ'، Β'، ΒΕΠΕΣ 59، ص. 92، 26-28

6.نفس المصدر السابق، "خطاب" ΛΑ', ΙΗ', ص. 274، 39

7.نفس المصدر، "خطاب" ΚΖ', Β', ص. 213، 29-214،1

8.غريغوريوس اللاهوتي، "خطاب" Ε', ΚΕ', ΒΕΠΕΣ 58، ص. 345، 4-5

9.خَلْكيدونية، ذكرى ميليتون حاتزي، مطران الخالكدون (1913-198

البطريركية المسكونية باللغة العربية